الحياة الثقافية
صفحة تعنى بالآداب والفنون والتراث
5
السبت 2026/3/14 - العدد 10875
Saturday 14 March 2026 - No. 10875
للمراسلات: culture@alhaya.ps

مهيب البرغوثي

القراءة بوصفها إعادة اكتشاف للذات

ربما لا تكون القراءة فعل دخول إلى عالم آخر، بل خروج منة إلى ما لا نعرفه بعد. الكتاب لايقرأ كما الاستعداد لرحلة ما ؛ إنها تستدرجنا ببطء حتى نجد أننا غرباء داخل بيتنا. القراءة تبدأ غالبا بفضول عابر، وسرعان ما تتحول إلى تجربة تهز الداخل كله. حين نقرأ، لا نستهلك كلمات مطبوعة فحسب، بل نعيد كتابة أنفسنا في مواجهة نص يتقاطع معنا في أماكن لا نتوقعها. حين واجه بروست طعم المادلين لم يكن يستعيد زمنا مفقودا بقرار واع، بل كان جسده نفسه منفتحا على ذاكرة لم يعرف أنه يحملها. القراءة هنا جسدانية بقدر ما هي عقلية، مواجهة لا تترك القارئ كما كان.

المرآة التي تقدمها النصوص ليست دائما مطمئنة. أحيانا تعكس ملامحنا بوضوح، وأحيانا أخرى تفضح ما لا نحب أن نراه. كل كتاب يحمل إمكانية أن يكشف عنا أكثر مما يكشف عن ذاته. في لحظة ما، نشعر أن النص لا يعكس صورة واحدة، بل صورا متعددة تتناوب على الظهور والغياب. القارئ حين يظن أنه يتحكم في المعنى يجد نفسه مشدودا إلى شبكة أوسع من الكلمات، شبكة تجعله جزءا من نص آخر يتشكل داخله.

حين أعلن بارت "موت المؤلف" كان يحرر النص من يقين نية واحدة، لكنه في الوقت نفسه كان يضع القارئ أمام عبء جديد. المعنى لم يعد محروسا، بل صار متاحا لانزلاقات وتأويلات متناقضة. منذ تلك اللحظة لم يعد النص ساحة مغلقة، بل فضاء مفتوحا للنزاع. القارئ صار شريكا لا متفرجا، لكن هذه الشراكة تعني أيضا أنه مسؤول عن فوضى المعاني التي يولدها. الحرية هنا ليست طمأنينة، بل قلق متجدد.

النقد يدخل إلى هذه الفوضى محاولا أن يمنحها شكلا. منذ أرسطو الذي بحث عن وحدة الحبكة، وحتى تودوروف الذي فتش عن بنية السرد، كانت الرغبة دائما أن يكون للنص منطق خفي يمكن الإمساك به. لكن ماذا لو لم يكن هناك منطق أصلا؟ النقد عندها يتحول إلى فعل اختراع، إلى بناء شبكة من نسج الفهم حيث لم يكن إلا التشظي. إنه ليس تفسيرا بريئا، بل كتابة ثانية تتغذى على الأولى وتدعي كشفها.

الكتابة لا تقدم لنا الشخصيات كما هي، بل كما يمكن أن تكون في أذهاننا. كل قارئ ينسج صورة مختلفة عن البطل، عن ملامحه وصوته وخطواته، حتى لو وصفه النص بالتفصيل. في المسافة بين الكلمات وعين القارئ يتشكل التخييل، كأن النص ليس ما كتب، بل ما تخيلناه نحن من خلاله. هنا تتعدد الرواية بعدد القراء، ويصير لكل شخصية أكثر من وجه وأكثر من حضور. صورة البطل في ذهن قارئ ليست هي نفسها في ذهن آخر، بل قد تتناقض الصور تماما، ومع ذلك تبقى جميعها شرعية، لأنها ليست خروجا عن النص بل انفتاحا لطاقته. الكتابة، بهذا المعنى، ليست سردا نهائيا للشخصيات، بل اقتراحا للتخييل الذي لا يكتمل أبدا.

ومن هنا يمكن القول إن القراءة ليست فعل استهلاك، بل فعل مشاركة. القارئ لا يقف خارج النص كما يقف المتفرج أمام مسرحية، بل يدخل في نسيجه ويترك أثره فيه. النصوص الكبرى تحديدا لا تمنح نفسها كاملة في القراءة الأولى، بل تظل قابلة لإعادة الاكتشاف مع كل عودة إليها. كل قراءة جديدة تفتح طبقة مختلفة من المعنى، وكأن الكتاب يتغير بتغير قارئه.

ربما لهذا السبب تبقى بعض الكتب معنا لسنوات طويلة. نحن لا نعود إليها لأنها لم تفهم، بل لأننا نحن لم نعد الأشخاص أنفسهم الذين قرأناها أول مرة. الزمن يضيف إلى القراءة أبعادا لم تكن ممكنة من قبل. التجربة الشخصية، والخبرة، وحتى الخيبات الصغيرة التي يمر بها الإنسان، كلها تعيد تشكيل علاقته بالكلمات.

في النهاية، القراءة ليست رحلة نحو نص ثابت، بل حركة مستمرة بين الذات والعالم. إنها لحظة يتقاطع فيها ما كتب بما نعيشه، فينشأ معنى جديد لا يخص الكاتب وحده ولا القارئ وحده، بل المسافة الخفية بينهما. في تلك المسافة بالذات يحدث السحر الحقيقي للقراءة؛ سحر يجعل الكتاب أكثر من مجرد صفحات، ويجعل القارئ أكثر من مجرد متلق، بل شريكا في ولادة المعنى.

"أصابع الحنين".. أناشيد الحب والحرب

راسم المدهون*

حضور دنيا الأمل إسماعيل في الكتابة الإبداعية الفلسطينية، وبالذات الشعرية، يأتي كل مرة مسكونا بهم التعبير عن "ورطة" العيش اليومي المستحيل في غزة التي مثلت في عقودها الأخيرة طروادة معاصرة تطلق سهامها في الاتجاهات كلها فلا يسيل سوى دمها.

دنيا الأمل إسماعيل شاعرة لا "تتوغل" في العمر، فهي تمشي في المساحة الضيقة للمكان المزدحم بناسه، ولا تمشي في الزمن، ولهذا أظل أراها أقرب شعراء غزة إلى وعي الحالة هناك، الواضحة والملتبسة، والتي تزداد وضوحا لا ينجح كل مرة في شيء قدر نجاحه في تعميق حالة الالتباس الغزي النازف بالدم، والذي يتكرر كل مرة بالصورة ذاتها، من دون أن تحقق التفاصيل المتكررة على نحوها الطافح بغياب البشر، ودمار الحجر، سوى غياب وجوه أخرى كانت هناك ذات يوم.

لم ألتق دنيا الأمل يوما، ولا أعرفها في صورة مباشرة، ومع هذا سأزعم أنني أعرفها من خلال كتاباتها التي "تدل عليها" (وأزيد فأقول إنها تدل علينا)، والتي تتحول في مخيلاتنا الجماعية والفردية إلى ألبوم صور يقطر دما هو دمنا جميعا، وأعني دمنا الموزع في بلاد كثيرة تقع هنا وهناك، ولكنها تنتسب إلى ذلك الوطن المسيج بالأعداء والقتلة، والذي يوغل فيه الغياب، ويكاد يطوي وجوده كله على هذا النحو التراجيدي الذي يعيشه القطاع المسيج بالبحر وبنادق المستوطنين، والذي ينام في الحصار، ويحلم في الحصار، فيما المعابر المغلقة والمهدمة بعد ذلك هي مفتاح حياة الجميع، ووسيلة عيشهم، ومصدر طعامهم العصي.

"تبدو دنيا الأمل وكأنها لا تتحدث من خلال قصائدها إلى آخر، قارىء قريب، أو بعيد، قدر حديثها الهامس إلى ذاتها هي المرأة ـ الشاعرة"

ديوان دنيا الأمل إسماعيل الجديد بعنوان "أصابع الحنين" (منشورات وزارة الثقافة الفلسطينية ـ مشروع إصدارات غزة ـ رام الله)، وعنوانه الداخلي "الحرب على غزة 2023 ــ 2024"، أي تماما زمن المحرقة الذي أكلت خلاله نار الحرب الهمجية اليابس واليابس، لأن "الأخضر" بلونه الذي يشير للطبيعة احترق في الحروب التي لا تحصى التي وقعت قبل "حرب الطوفان"، بل والتي جعلت الحرب الأخيرة تمثل ذروة لتلك الحروب التي لم تهدأ يوما إلا لتراكم أسبابا للحرب الكبرى الأخيرة، وترتيبا لمسرحها وقتلاها، ومن سوف تدفنهم تحت حجارة بيوتها المدمرة:

"حين أعود
سأرسم لهفتي
وردا في آنية الذكريات
وأرش الملح على جروح البيت،
كي يشفى سريعا من الغياب.
وأرمم جدران قلبي من وجع البعاد،
وأحيي مجد روحي كل صباح
بالموسيقى
وفنجان قهوة،
وصورة حبيب على الجدار".

هي قصائد تبدو دنيا الأمل وكأنها خلالها لا تتحدث إلى آخر، قارىء قريب، أو بعيد، قدر حديثها الهامس إلى ذاتها هي المرأة ـ الشاعرة، والتي داهمتها الحرب ـ الفاجعة وهي في حالة الفقد العاصف الذي مزق روحها نتفا، وتركها تحاول ترميمها بالحزن والقصائد، فقصفها الحزن الجديد بسيل من الغائبين الجدد الذين ازدحم بهم الوطن الذي صار مقبرة كبرى يسكن موتاها قبورا جماعية تقف فوق قبور أخرى.

الحرب في قصائد هذه المجموعة الشعرية تأتي تفاصيلها بصوت الشاعرة في حديثها الطويل مع حبيبها الذي رحل وظل يسكن وجودها الإنساني، ليس بالمعنى الرمزي، أو العاطفي الغائب، ولكن بتلك الصورة التي تستعيده في كل مرة من حضوره الرمزي ذاك باعتباره حضورا حقيقيا في مقام العشق الذي لا يغيب ولا يفتر، أو تتباطأ ثورته وإيقاعاته في روحها. هي بهذا المعنى قصائد حب تنتمي للحياة أكثر بكثير من انتمائها للموت، لأن الموت هنا ينكسر أمام حضور العاشق وتجدده في روح الحبيبة العاشقة والشاعرة، والتي لا يعنيها كثيرا "تطريز" بوحها العاطفي قدر اعتنائها بأن تطلق بوحها في براري الحب والحرب على هذا النحو الصادق والطافح بالحقيقة الآسرة:

"ذات يوم ممطر،
سأنتظر حبيبا غائبا،
عبأت له قلبي شوقا وحنينا
وأمنيات عامرة
وتحت أشجار الرصيف
سأعد خساراتي الماضية
وأحرث قلبي من أوهام
علقت بجدرانه
سيتأمل براحة أكثر
غيوم سمائي
ودون إحكام مفرط
سأغلق نوافذي
في وجه ريح عابرة
ويظل حبيبي
غائبا
وأمطار قلبي
عامرة".

تكتب دنيا الأمل إسماعيل في هذه القصائد ولع العلاقة الأبدية والمتشحة بلون العشق والموت، الحنان العاصف والحياة الموءودة بسكين الفقد على نحو جميل من ألفة الحزن الهادىء رغم شراسة الحرب، الحب الذي يطوي في صفحاته سطور حنين شرس يرفل في ثياب الغياب الذي نراه متنحيا بأبواب الشعر يغني ويطلق همسه بجسارة الحياة ووقعها الحميم.

في قصائد "أصابع الحنين" مزق العشق في مساحات الشعر، إذ يتوج العادي والمألوف، ويحاور المشهد المجلل بالسواد من حدقة تستعيد الغائب، وتستعيد معه الأماكن والآخرين، وحتى البيوت والأشجار وأشباح الأيام والساعات التي كانت حياة وظلت رغم غيابها تشير إلى حضورها العاصف، والتي كتبتها الشاعرة في جحيم عامين طافحين بالنار، وقصف آلات الموت الجهنمي للبيوت والأرواح البشرية التي حاصرتها آلة القتل الجماعي من كل الاتجاهات، وهي قصائد ترسم لنا خارطة روحية ـ فنية أكثر صدقا وحميمية من تلك الصور التي رصدها الإعلام، وتحدث بها مراسلوه أيام الحرب الطويلة والمريرة.

---

*شاعر وكاتب فلسطيني يعيش في دمشق

لطفية الدليمي وداعا.. رحلة بحث مستمرة عن الإنسان

عماد الدين موسى

في أحد مستشفيات العاصمة الأردنية عمان أسدل الستار في يوم المرأة العالمي 8 آذار على حياة الكاتبة والمترجمة العراقية لطفية الدليمي بعد مسيرة طويلة امتدت قرابة ثمانية عقود. رحلت وهي تحمل في ذاكرتها أرشيفا واسعا من الحكايات والكتب والقراءات، وتركت وراءها أكثر من نصف قرن من العمل المتواصل في القصة والرواية والترجمة والعمل الثقافي.

ارتبط اسمها بالمشهد الثقافي العراقي منذ سبعينيات القرن العشرين الفائت، حين بدأت بنشر قصصها في المجلات والصحف العراقية والعربية، ثم تحولت تدريجيا إلى واحدة من أكثر الأصوات السردية حضورا في العراق والعالم العربي، حيث ظلت كتاباتها قريبة من الإنسان، مشغولة بأسئلة الحياة اليومية، وبالتفاصيل الصغيرة التي تصنع المعنى في حياة البشر.

وشكل خبر رحيلها صدمة للمشهد الثقافي الذي عرفها صوتا هادئا ومثابرا، تؤمن بقوة الأدب في توسيع أفق الإنسان، وحملت هم الثقافة العراقية في سنواتها الصعبة.

البدايات الأولى

ولدت الكاتبة الراحلة عام 1943 في بغداد، المدينة التي شكلت فضاءها الأول واحتضنت طفولتها ودراستها؛ ففي مدارس العاصمة العراقية تفتحت موهبتها الأدبية، حيث بدأت علاقتها المبكرة بالقراءة واللغة، وكانت الكتب جزءا من يومياتها، واللغة العربية مجالا للدهشة والاكتشاف.

تابعت دراستها الجامعية في الأدب العربي، وحصلت على شهادة البكالوريوس، وهي مرحلة أسهمت في تعميق علاقتها بالنصوص الكلاسيكية والحديثة معا. في تلك السنوات، أخذت تجربتها في الكتابة تتبلور ببطء، وتكون وعيها الثقافي ضمن سياق اجتماعي وثقافي متغير في العراق.

شكلت بغداد بالنسبة إليها أكثر من مدينة ولادة؛ كانت فضاء للذاكرة والسرد ومختبرا للخبرة الإنسانية. ظل حضور المدينة واضحا في كثير من نصوصها التي استلهمت تفاصيل الحياة اليومية، والبيئة الاجتماعية، والوجوه البشرية المتعددة.

بدأت الكاتبة الدليمي حياتها المهنية في ميدان التربية والتعليم، حيث عملت في تدريس اللغة العربية سنوات عدة، وهو ما منحها تماسا يوميا مع اللغة، ومع الأجيال الجديدة، وأسهم في تعزيز حسها اللغوي، وتطوير علاقتها بالكلمة المكتوبة.

انتقلت لاحقا إلى العمل الصحافي، فدخلت عالم المجلات الثقافية العراقية، حيث تولت تحرير باب القصة في مجلة "الطليعة"، وهو موقع منحها فرصة متابعة الإنتاج السردي العراقي والعربي عن قرب، وكانت المجلة آنذاك إحدى المنصات الثقافية المهمة التي تحتضن الأصوات الأدبية الجديدة.

شغلت لاحقا موقع إدارة تحرير مجلة "الثقافة الأجنبية"، وهي مجلة لعبت دورا مهما في تعريف القارئ العربي بآداب العالم. ومن خلال هذا العمل، اكتسبت خبرة واسعة في متابعة الترجمات والنصوص العالمية، ما انعكس لاحقا في نشاطها الكبير في مجال الترجمة.

إلى جانب ذلك، كتبت أعمدة صحافية في الصفحات الثقافية لسنوات طويلة، وشاركت بنصوصها السردية والمقالات الفكرية في عدد كبير من الصحف والمجلات العربية، ومن بينها موقع "ضفة ثالثة" الثقافي.

سافرت الراحلة الدليمي في عام 1978 إلى العاصمة البريطانية للدراسة في جامعة لندن ـ كلية غولدسميث، حيث درست اللغة الإنكليزية وآدابها. شكلت تلك التجربة محطة مهمة في حياتها الفكرية، إذ أتاحت لها إمكان الاطلاع المباشر على الأدب العالمي في لغته الأصلية. كما عززت اهتمامها بالترجمة، ووسعت أفقها الثقافي في اتجاه المدارس الأدبية المختلفة.

صوت ثقافي فاعل

ارتبط اسم الكاتبة الدليمي بالدفاع عن قضايا المرأة في العراق والعالم العربي، وتزامن رحيلها مع يوم المرأة العالمي؛ حملت في كتاباتها اهتماما واضحا بعالم النساء وتجاربهن الإنسانية والاجتماعية، حيث ظهرت المرأة في نصوصها شخصية مركزية تمتلك صوتا وتجربة ومعاناة وأحلاما.

شاركت في بداية تسعينيات القرن الماضي مع عدد من المثقفات العراقيات في تأسيس "منتدى المرأة الثقافي" في بغداد عام 1992. كان هذا المنتدى مساحة للحوار الثقافي حول قضايا المرأة ودورها في المجتمع والثقافة.

كما أسست عام 2004 مركز "شبعاد" لدراسات حرية المرأة، وهو مشروع ثقافي يسعى إلى تعزيز الوعي بحقوق النساء، وإتاحة مساحة للنقاش الفكري حول هذه القضايا.

حظيت أعمال الدليمي باهتمام واسع داخل العراق وخارجه؛ إذ ترجمت قصصها إلى لغات عدة، من بينها الإنكليزية، والبولونية، والرومانية، والإيطالية. كما وصلت روايتها "عالم النساء الوحيدات" إلى القارئ الصيني بعد ترجمتها إلى اللغة الصينية.

منح هذا الانتشار نصوصها حضورا عالميا، حيث أصبحت تجربتها السردية جزءا من تجربتها الابداعية.

الكتابة خارج الوطن

شهد عام 2006 تحولا كبيرا في حياة الدليمي، حين غادرت العراق متجهة إلى عمان، قبل أن تنتقل لاحقا إلى باريس للمشاركة في مؤتمر حول حرية الإعلام بدعوة من منظمة اليونسكو.

أقامت في العاصمة الفرنسية مدة بوصفها لاجئة ثقافية خلال عامي 2006 و2007. تلك الفترة حملت تجربة إنسانية عميقة، حيث اختبرت شعور الابتعاد عن الوطن والعيش في فضاء ثقافي مختلف.

في نهاية عام 2008، عادت للإقامة في عمان، المدينة التي أصبحت محطتها الأخيرة حتى وفاتها. خلال سنوات إقامتها هناك استمرت في الكتابة والترجمة والمشاركة في الفعاليات الثقافية العربية.

تركت الراحلة خلفها إرثا أدبيا كبيرا يضم أكثر من ثلاثين عملا إبداعيا بين القصة والرواية، إضافة إلى أكثر من عشرين كتابا مترجما عن الإنكليزية. يعكس هذا الإنتاج مسيرة طويلة من العمل المتواصل والاهتمام العميق بالأدب.

امتدت اهتماماتها أيضا إلى مجالات أخرى من الكتابة، حيث كتبت نصوصا للمسرح والتلفزيون، وهو ما يكشف عن تنوع تجربتها الإبداعية وقدرتها على العمل في أشكال سردية متعددة.

الكتابة بوصفها طريقة لفهم العالم

يمكن قراءة تجربة الراحلة الدليمي بوصفها رحلة بحث مستمرة عن الإنسان في تفاصيل حياته اليومية. في قصصها تظهر شخصيات تعيش في فضاءات واقعية، تواجه أسئلة الوجود والهوية والذاكرة.

اهتمت في سردها بالتفاصيل الدقيقة التي تمنح الحياة معناها، وقدمت عبر نصوصها عالما يلتقي فيه الواقعي بالمتخيل، وتلتقي فيه التجربة الشخصية مع الهم الإنساني العام.

تميز أسلوبها بلغة شفافة تميل إلى التأمل، حيث يتحول السرد إلى مساحة للتفكير في الزمن والذاكرة والعلاقات الإنسانية.

ومع رحيلها يودع المشهد الثقافي العراقي واحدة من أبرز كاتباته في العقود الأخيرة.

تركت الراحلة وراءها مكتبة من الكتب والحكايات والترجمات التي ستظل حاضرة في ذاكرة القراء.

شكلت تجربتها مثالا على المثقف الذي يجمع بين الكتابة والعمل الثقافي والموقف الإنساني. في قصصها يتجاور الألم مع الأمل، وتتحول الكتابة إلى مساحة للحلم بعالم يكون أكثر إنصافا واتساعا.